الفصل الثاني: جولد تسيهر.

1- المبحث الأول: حياته.

2- المبحث الثاني: مؤلفاته.

3- المبحث الثالث: منهجه في الدراسات.

4- المبحث الرابع: موقف العلماء منه.

المبحـــث الأول:

لمحة عن المستشرق اجناس جولد زيهر:

1-حياته:

ليس في حياة جولد زيهر الظاهرية شيء يستحق التسجيل فهي حياة هادئة لم تخرج عن إيطار الحياة العامة، أما الحياة الباطنة فكانت خصبة حافلة بالنشاط و الحركة تمت سريعا و كانت مبكرة و استمرت قوية سائرة نحو غايتها دون ثوان و لا انقطاع.[1]

كان ميلاده في **الثاني و العشرين** من شهر **يونيو** سنة ***(1850م)*** بمدينة **أشتولجيسنبرج** في بلاد المجر، و أسرته أسرة يهودية ذات مكانة و قدر كبير.[2]

فهو مستشرق مجري يهودي الأصل و عامل انتمائه إلى بلاد المجر التي كانت جزءا من الإمبراطورية النمساوية، و عامل انتمائه إلى أسرة يهودية كان حظها من المكانة في الحياة الاجتماعية، أثر كبير في تحديد خصائصه،فالعامل الأول لم يكن من شأنه أن يجعل جولد زيهر يشارك في الحياة السياسية العامة و كان العامل الثاني هو الذي طبعه بطابع العالمية.[3]

درس **جولد زيهر** في الثانوية العامة في مدينته الأم و تلقى إلى جانبها ثقافة تلمودية، كان ذا موهبة وسنه لم يتجاوز الإثنتي عشرة سنة ربيعا ليدلي برأيه في الجانب العملي في مسألة الطقوس الدينية،وذلك حين نشر عملا سيكون من وجهة نظر التلموذي (نيمست) ماديا لمسار بحث علماء المستقبل في مناقشتهم التاريخية للمشكلة ، و بعد هجرة الأب إلى(بيست) كان جولد هو الشاب الأول تلميذ لهبرمان بامبرجر ***(1832م) (1913م)*** الذي أستدعي في عام ***(1865م)***بجامعة بودابست و تنكر في زي (دروش) حين قام برحلة إلى أسيا الوسطى.[4]

تلقى **جولد زيهر** الفارسية و التركية على يديه دون أن يحثه أحد عن ذلك علما بأن اهتماماته كانت منصبة على الموضوعات اليهودية بشكل رئيسي غير انه تلقى منحة للدراسة في الخارج بتوصية من **بامبرجر** و وزير التعليم **جوزيف فون أبو تفوس *(1868م)*** حيث ذهب في بادئ الأمر إلى برلين ودرس اللغات السامية على يد أساتذة و بإشراف **هيمان ينتهان *(1892م، 1894م)*** الذي كان يمثل

---

[1] - عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين ، ط3 ، لبنان ، دار العلم للملايين 1993 ، ص . 197.
[2] - عادل الآلوسي ، التراث العربي و المستشرقون ، ط2 ، دار الفكر العربي ، 1422 هـ ، 2001 م ، ص . 234
[3] - المرجع السابق : (موسوعة المستشرقين) ، ص . 197.
[4] - بوهان فوك ، تاريخ حركة الاستشراق ، ط2 ، دار المدار الإسلامي ، 2001 ، ص . 236.

العلوم اللغوية العامة تعلم مناهج نفسية الشعوب و ما يسمى بعلم البليوتولوجيا (إشكال الحياة في العصور الجيولوجية السابقة).[1]

ظفر بعدها بالدكتوراه الأولى سنة ***(1870م)*** و كانت رسالته عن شارح يهودي بالعصور الوسطى شارح التوراة و هو **تنخوم اورشلمي**، كانت البدايات الأولى في برلين أيام وجوده فيها ،و في سنة ***(1972م)*** تحصل على جائزة التدريس الأستاذية في بودابست و لكنه لم يستمر في التدريس طويلا و إنما أرسلته وزارة المعارف المجرية في بعثة دراسية إلى الخارج فاشتغل طوال سنة في فيينا و في ليدن و ارتحل فيما بعد إلى الشرق من سبتمبر لسنة ***(1873م)*** إلى ابريل ***(1874م)*** فأقام بالقاهرة مدة ثم سافر إلى سوريا.[2]

و منذ أن عين في جامعة بودابست و عنايته بالدراسات العربية عامة و الإسلامية الدينية خاصة تنمو و تزداد و إذا به يحرز في وطنه شهرة كبيرة جعلته ينتخب عضوا مراسلا للأكاديمية المجرية سنة ***(1871م)*** ثم عضوا عاملا في ***(1892م)*** و منذ ذلك الحال و هو لا يكاد يغادر وطنه بل و لا مدينة بودابست إلا لكي يشترك في مؤتمرات المستشرقين، أو لكي يلقي محاضرات في الجامعات الأجنبية استجابة لدعوته إياه.[3]

و من مكتبه في مدينة بودابست ظل **جولد زيهر** أكثر من ربع قرن شمسا ساطعة استمرت ترسل في عالم البحوث الإسلامية ضوءا يبدد قليلا ما يحيط بنواحي الحياة الدينية الإسلامية من ظلام و ينير السبيل أمام الباحثين في الوثائق التي سجلت فيها تلك الحياة و ينمو على حرارته جيل ضخم ممن هم اليوم من أئمة المستشرقين.[4]

كان حاقدا على الإسلام و نبيه –صلى الله عليه و سلم– و على القران و من أقواله الشهيرة في العقيدة و القران قوله:" و من العسير أن نستخلص من القرآن نفسه مذهبا عقيديا موحدا متجانسا خاليا من التناقضات..و يقول أيضا:" كن وحي النبي في حياته معرضا لحكم النقاد الذين كانوا يحاولون البحث عما فيه من نقص، و كان عدم الاستقرار و الطابع المتناقض البادي في تعاليمه موقع ملاحظات سافر."[5]

---

[1] - المرجع السابق ، ص . 237.
[2] - عبد الحميد صالح حمدان، طبقات المستشرقين ، دط ، مكتبة مدبولي د.ث ، ص . 115.
[3] - المرجع نفسه ، ص . 115.
[4] - عبد الرحمن يحوي ، (موسوعة المستشرقين) ، ص . 118.
[5] - سعدون محمود الساموك ، الوجيز في علم الإستشراق ، ط1 ، 1423 هـ ، 2003 م ، دار المناهج للنشر و التوزيع.

تلك هي حياته الظاهرية الخارجية ليس فيها ما يثير الاهتمام فهي حياة المكتب لا حياة العالم الخارجي و هي حياة القراءة و التحصيل لا التجربة و التواصل الحي، و لهذا لم يكن **جولد زيهر** من المعنيين بشؤون الشرق المعاصر و لا بالمسائل الحية التي تضطرب فيه سواء من هذه المسائل ماهو سياسي وتشريعي و ديني و حضاري ثقافي و هو من هذه الناحية يختلف اختلافا بينا عن الغالبية من كبار المستشرقين في القرن العشرين.[1]

و إن كان **جولد تسيهر** قد أعوزته التجربة الخارجية المباشرة فقد كان لديه نوع من التجربة الروحية الباطنة استطاع عن طريقها أن ينفد في النصوص و الوثائق كي يكتشف من ورائها الحياة التي تعبر عن هذه النصوص و يتبين الدوافع الحقيقية التي استترت خلف قناع من الكلمات فهو إذا أقام الحديث فليس ذلك لكي يبين أنه موضوع أو غير موضوع و إنما لكي يدرك الميول المختلفة و الأهواء المستورة التي يعبر عنها أصحابها فيما يصنعون أو يروون من حديث، و من أجل هذا كله كان يعتمد على نفوذ بصيرته و عمق وجدانه، و هذا ما يوضح نشاطه العلمي جميعه، هذا النشاط الذي بدأ مبكرا ممعنا في التبكير، فهاهو ذا الطفل الصغير الذي لم يكد يتجاوز الثانية عشر من عمره يكتب بحثا عن أصل الصلاة و تقسيمها و أوقاتها يكتبها هذا الطفل النابغة لأنه رأى الذين يدعون أنهم يسيرون على قواعد الدين الصحيحة يجهلون حقيقة الصلاة ثم يتجه الى الدراسات الشرقية و هو لا يزال طفل في سن السادسة عشر فيترجم و هو في هذا السن قصتين من التركية إلى المجرية تنشرها له إحدى المجلات و يضعهما تحرير هذه المجلة تحت عنوان "مستشرق في السادسة عشر".[2]

كانت وفاته في اليوم الثالث عشر من شهر نوفمبر ***(1921م)*** بالمدينة التي قضى فيها الشطر الأعظم من حياته و نعني بها مدينة بودابست.[3]

---

[1] - عبد الرحمان بدوي ، (موسوعة المستشرقين) ، ص . 198.
[2] - المرجع نفسه ، ، ص . 198.
[3] - عبد الحميد صالح حمدان ، (طبقات المستشرقين) ، ص . 120.

المبحث الثاني:

مؤلفاته:

يعتبر جولد زيهر من أخطر المستشرقين اليهود و من شر من حرفوا الإسلام و تاريخه و له مؤلفات عديدة و مصنفات مختلفة، و مقالات كثيرة الناظر فيها يجد الشبهات و الأكاذيب، و الافتراءات عن الإسلام الحنيف و النبي –صلى الله عليه و سلم– و الشريعة الإسلامية، و قد لعب هذا المستشرق اليهودي دورا خطيرا في مواجهة الإسلام و التشويش عليه و الطعن في قواعده.[1]

فمنذ سنة ***(1866م)*** أصبح في كل سنة يخرج بحثا أو طائفة من الأبحاث بين كتب ضخمة قد يتجاوز حجم المجلد الواحد منها أربعا مئة صفحة، و بين مقالات متوسطة الحجم بين العشرين و الستين صفحة و تعليقات صغيرة و بحوث نقدية تعريفا بالكتب التي تظهر باستمرار، حتى بلغت مجموعة أبحاثه كما بينها فهرست مؤلفاته ***592*** بحث.[2]

و قد اهتم جولد زيهر اهتماما كبيرا بالحياة الدينية و الفقهية حيث كتب عن الظاهرية و ابن حزم الظاهري عام ***(1884م)*** كما كتب عن التفسير و مذاهب المفسرين للقرآن أو مناهجهم و هما الكتابان اللذان ترجما إلى العربية من بين ما في مؤلفاته وتركا تأثيرات ضخمة.[3]

فأول أبحاثه الخطيرة في المسائل الإسلامية كتابه عن" الظاهرية مذهبهم و تاريخهم" الذي ظهر سنة ***(1884م)*** هو الذي أكسبه شهرته بصفته باحثا في الشؤون الإسلامية، [4]

و لم يقدم جولد زيهر هنا مدخلا نظاميا متماسكا بل مدخلا موجها تاريخيا في الشريعة الإسلامية دفع فيه النزاع المبدئي لمدرسة الشريعة السلفية إلى دائرة الضوء، و فتح بدلك الطريق أمام فهم وجهة نظر " داود الظاهري"،كما بين المكانة الاستثنائية التي تمثلها من واقع تفسير القران و الحديث و استعمالهم لإضراب التشريع و ناقش تاريخ هده المدرسة حتى زوالها و خص بالذكر ممثل المدرسة ابن حزم الأندلسي الذي أقام أسس المدرسة على العقيدة.[5]

---

[1] ـ د/ عبد المنعم أبو شعيشع أبودنيا ، الاستشراق اليهودي ، دط ، 2008 دار الجامعة الجديدة ، ص . 47.
[2] ـ عن الاستشراق و الإتجاهات الفكرية ، مازن المطبقاتي ، ص . 87
[3] ـ حسان صالحي ، القرآن الكريم في الخطاب الإستشراقي في الرؤية و المنهج ، ط1 ، 2010 ، دار الثقافة ، بشار ، ص . 19
[4] ـ د/ أحمد نصري ، أراء ، المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم ، ط1 ، 2009 ، دار العلم للطباعة و النشر و التوزيع ، ص . 12.
[5] ـ يوهان فوك ، تاريخ حركة الاستشراق ، ط2 ، 2001 ، ص . 239.

كما تطرق في نفس الكتاب إلى الحديث عن أصول المذاهب الفقهية المختلفة و عن الإجماع، و عن الصلة بين هده المذاهب و بين المذهب الظاهري و يزيد في أهمية هدا الكتاب كذلك أنه اعتمد فيه أكثر ما اعتمد على مصادر لم تكن قد طبعت بعد.[1]

و هو في بحثه في هدا المذهب يسير على المنهج التاريخي حيث يتحدث عن تطوره و نموه، ثم عن امتداد أصول الظاهرية من البحوث الفقهية إلى البحوث الكلامية و تطبيق هده الأصول في العقائد الدينية على يد ابن حزم، و يتابع هدا التطور و يحدد الاتجاهات التي اتخذها، و يرسم المنحنيات التي سار عليها حتى يصل إلى ابن تيمية و المقريزي.[2]

و تحت إشراف فلايشر كتب بادئ الأمر مساهمات حول تاريخ علم اللغة لدى العرب، و في الوقت نفسه وصلت دراساته العبرية في كتابه الذي نشر سنة ***(1871م)*** تحت عنوان الأسطورة و تطورها التاريخي عند العبرانيين.[3]

كما نجد مجموعة من المناقشات كان بحثه حول تطور الحديث و نجد كتاب آخر يندرج ضمن سلسلة هده الكتب تحت عنوان مذاهب التفسير الإسلامي سنة ***(1920م)*** قدم فيه تفسير النصوص العربية الديني المستقى من كتب التفسير الأساس اللغوي لنظرة شمولية على تاريخ تفسير القران مند بداياته الأولى.[4]

و نجد كتاب آخر رمز إليه بعنوان فرعي هو مساهمات حول تاريخ الشريعة المحمدية، خطط له لأن يكون فاتحة لسلسلة من الدراسة التي تتناول تاريخ تطور الديانة المحمدية، تعين على فهم الدين الإسلامي هدا و قد استؤنفت هده السلسلة في عمله النوعي (دراسات محمدية) (المجلد الأول و الثاني) ***(1889م_1890م)*** و هو المعروف باسم دراسات محمدية.[5]

كما نجد كتاب آخر عظيم كان لا يزال له أخطر الأثر في الدراسات الإسلامية، و بخاصة فيما يتصل بالبحث في الحديث، و نعني به كتابه دراسات إسلامية الذي ظهر الجزء الأول منه سنة ***(1889م)*** و الجزء الثاني في العام التالي.[6]

---

[1] - د/عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين ، ط3 ، لبنان ، دار العلم للملايين 1993 ، ص . 200.
[2] - المرجع نفسه، ص . 200
[3] - يوهان فوك ، تاريخ حركة الاستشراق ، ص . 241.
[4] - المرجع نفسه ، ص . 201
[5] - المرجع نفسه، ص . 240.
[6] - المرجع نفسه ، ص . 241

حيث نجد أن الجزء الأول من هدا الكتاب يتحدث جولد زيهر عن الوثنية و الإسلام، و ينظر إلى هده المسألة نظرة جديدة تختلف عن نظرة من عاصره من المستشرقين ممن عنوا بدراسة هده المسألة نفسها، مثل فلهوزن.[1]

أما الجزء الثاني فقد تحدث عن تطور الحديث و فيه برهن جولد زيهر بفطنة و عقلانية طبيعة الدور الذي لعبه الحديث و هو في الأصل للبناء و الحوار و من جهد العلماء النشطين في الجمع و الدرس في الصراعات على السلطة و في خصومات الأحزاب السياسية و الدينية و الفرق، و أظهر من خلال طائفة كبيرة من الأسئلة المستقاة من كتب الحديث الاتجاهات المختلفة التي وضعت قيد العمل لدى نشوء و تنميق و توسع الحديث.[2]

أما الأبحاث التي ظهرت فيها قدرة جولد زيهر الفائقة على المقارنة، نجد بحث له ألقاه في المؤتمر الأول الدولي للأديان الذي انعقد في باريس، و نشر في المجلد الثالث و الأربعين من "مجلة تاريخ الأديان" بعنوان " الإسلام و الدين البارسي"، في هدا البحث يكشف **جولد زيهر** لأول مرة على ما كان لدين دولة الأكاسرة من تأثير في الإسلام في عهده الأول.[3]

ثم عني **جولد زيهر** بنشر بعض الكتب المهمة، فنشر كتاب المعمرين **لأبي حاتم السجستاني** سنة ***(1899م)***، و قدم له بحث في هدا النوع من المؤلفات ذكر فيها من كتب كتبا من هدا النوع من المؤلفات باللغة اليونانية أمثال لوقيان ، فليجون الترلي ، و كتب جولد زيهر مقدمة كتاب التوحيد **لمحمد بن تومرت المهدي الموحدي**، و قد نشره لوسياني سنة ***(1903م)*** بمدينة الجزائر، و أخيرا نشر نشرته القيمة لفصول من كتاب المستظهري في الرد على الباطنية للغزالي ***(1916م)*** بمدينة ليدن، وفي مقدمة هده النشرة تحدث عن الاجتهاد و التقليد، و أماط اللثام عن النزاع الذي كان على أشده في العصر الذي بلغت فيه الدعوة الفاطمية الإسماعيلية أوج عزها بين أئمة الفاطمية و الإسماعيلية من جهة و بين رجال السنة و مذهب أهل السنة بعد أن تناوله الغزالي بالإصلاح من جهة أخرى.[4]

و لكن أشهر أبحاثه و أعظمها نضوجا و تأثيرا كتاباه المشهوران:"محاضرات في الإسلام" المطبوع بمدينة هيد لبرج سنة ***(1910م)***، و" اتجاهات تفسير القرآن عند المسلمين" المطبوع بمدينة ليدن سنة

---

[1] - د/عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين ، ، ص . 200.
[2] - يوهان فوك ، تاريخ حركة الاستشراق ، ص . 241.
[3] - د/عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين ، ، ص . 201.
[4] - المرجع نفسه ، ص . 201

(1920م) ، فالكتاب الأول هو المعروف باسم العقيدة و الشريعة في الإسلام و قد ترجم إلى العربية على يد ثلاثة من علماء الأزهر تعاونوا على نقله إلى المكتبة الإسلامية في ترجمة دقيقة أمينة في القاهرة سنة *(1946م)*.[1]

و يعتبر هدا الكتاب عبارة عن نظرة عامة في الإسلام من جميع نواحيه ، نظرة تركيبية واضحة قد حوت جوهر الحياة الروحية الإسلامية كلها كما يراها جولد زيهر، ففي الفصل الأول منه يتحدث عن "محمد و الإسلام" و يبين ما لفكرتي الضمير و طهارة القلب.[2]

أما الفصل الثاني بحث واسع في تطور الشريعة حيث يعطينا صورة عامة عن تاريخ الحديث و الأهم من هدين الفصلين الفصل الثالث الخاص بتطور علم الكلام و يتحدث فيه عن تطور نظرية الجبر والاختيار في القرآن، أما الفصل الرابع فقد خصصه للحديث عن الزهد و التصوف، و الفصلان الأخيران يبحث أولهما في الفرق القديمة (الخوارج و الشيعة) و يبحث ثانيهما في الفرق المتأخرة (الوهابية و البابية، البهائية...).[3]

أما الكتاب الآخر الذي توج به تلك الحياة العلمية الخصبة القوية فهو في تاريخ تفسير القرآن و الذي ترجم إلى العربية، و يرى بعض الباحثين أن الترجمة فيها أخطاء كثيرة تعود إلى عدم فهم النص و أن العنوان لم يترجم بالدقة المطلوبة لأن جولد زيهر لم يتحدث عن مذاهب في التفسير بل عن الاتجاهات الفكرية لأول مرة في تاريخ الإستشراق حيث أبرز الاتجاهات المختلفة حسب التيارات الفكرية والسياسية لدى المفسرين عبر العصور التي عاشوا فيها.[4]

و قد استهل جولد زيهر هدا الكتاب بالحديث عن الخطوة الأولى من خطوات تفسير القرآن و هي الخطوة التي تكون التاريخ نفسه و عما فيه من اختلافات في القراءات و ختم كتابه بعرض رائع للاتجاه العصري في تفسير القرآن، و هكذا يقدم لنا جولد زيهر في الظاهر تاريخا حيا لتفسير القرآن بينما هو في الحقيقة يعرض لنا فيه مرآة صافية انطبعت فيها صورة واضحة للحياة الروحية طوال *13* قرنا عند ملايين بين ملايين المسلمين.[5]

---

[1] - عبد الحميد صالح ، حمدان ، طبقات المستشرقين ، دط ، مكتبة مدبوي د.ث ، ص . 116.
[2] - المرجع نفسه، ص . 202.
[3] - المرجع نفسه ، ص . 202
[4] - حسان صالحي ، القرآن الكريم في الخطاب الإستشراقي في الرؤية و المنهج ، ط1 ، 2010 ، دار الثقافة ، بشار ، ص . 20.
[5] - د/عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين ، ، ص . 203.

و هكذا يعتبر جولد زيهر المؤسس الحقيقي للدراسات الإسلامية في أوروبا فقد تعاون مع خمسة ثمانين ومجلة دورية، و ثماني موسوعات علمية، و كتب ثلاثين مقالا في الموسوعة الإسلامية و بلغت مقالاته العلمية ***210*** مقالات، و كتب خمسة و ثلاثين كتاب وبعد وفاته نقلت مكتبته العامرة بالمجلدات النادرة و المخطوطات القيمة التي حصل عليها إ بان تجواله في الشرق الى الجامعة العبرية بالقدس عام ***(1925م)***.[1]

المبحـــث الثـــالث:

منهجه في الدراسات الإسلامية:

يرى جولد زيهر أن دراسة أي دين من الأديان يدخل في نطاق فرع معين من العلوم يطلق عليه "علم الديانات"، و يتحدد هدفه في دراسة التطور التاريخي لهده الأديان المختلفة، و العوامل المتشابكة التي تحدد الأشكال الداخلية لهده الديانات و علاقة هده التشكيلات بمصادرها الأصلية.[2]

و من هنا فإن منهج جولد زيهر لا ينصب على الوصف التاريخي للدين الذي يقوم بدراسته، ولكنه يهتم بالدرجة الأولى بالقيم الروحية و الأخلاقية التي تنص عليها تعاليم تلك الديانة و مدى تعلق مريديها بها، و يرى أنه من المستحيل علميا إصدار حكم مهما كان نوعه على أية ديانة، لأن مثل هدا الحكم يجب أن يكون مطلقا و لكن غالبا ما تنقص الباحث الضوابط و المعايير العلمية لإصدار مثل هده الأحكام المطلقة، فالأحكام المطلقة لا قيمة لها في دين من الأديان إلا بالنسبة إلى معتقيها، أما بالنسبة إلى الآخرين فأن هده القيمة تبدو دائما نسبية.[3]

فقد اعتبر جولد زيهر الإسلام دين متطورا مثله مثل اليهودية و النصرانية، بمعنى انه خاضع للعوامل التاريخية و ما تتركه من مؤثرات على الدين.[4]

و بناءا على نظرته السابقة فإن جولد زيهر يرفض تلك الأحكام المنسقة التي تطلق على الإسلام والتي تتسم دوما بالتعسف على مر العصور لأنه من الخطأ تطبيق معيار مطلق عليه، و لأن الإسلام

---

[1] - الحاج سالم ساسي ، نقد الخطاب الإستشراقي للظاهرة ، ج1 ، ط2 ، دار المدار الإسلامي ، ص . 209.
[2] - د/عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين ، ، ص . 210.
[3] - المرجع نفسه ، ص . 211.
[4] - محمد خليفة حسن أحمد ، آثار الفكر الإستشراقي في المجتمعات الإسلامية ، ط1 ، 1997 ، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الإجتماعية ، ص . 18.

غير مسؤول على الأخطاء المنسوبة إليه عبر التاريخ، كما أن هده الأخطاء المسبقة و التعسفية غالبا ما تكون منية على أدلة و براهين خاطئة.[1]

ونلاحظ في دراساته أنه يطبق المنهج التاريخي على الإسلام بمجموعه و أن يفهمه كظاهرة تاريخية حضارية رسمت تطوره الأفكار الدينية بشكل أساسي في هدا التفسير.[2]

ارتبط جولد زيهر بفون كريمر الذي لم يعترف صاحبه بسعة معارفه و مناهجه فقط و بشكل خاص بحدسه اتجاه القوى الدافعة للإسلام، و قد أعانته كثيرا على دلك معرفته المتنامية بالتراث اليهودي و تقاليده التي استقاها بالمعايشة المباشرة.[3]

و من هنا نلاحظ أن استخدام **جولد زيهر** لمفهوم التطور التاريخي في الدراسات الإسلامية و هدا المفهوم و إن كان يتطابق و منهجية **سنوك هرجرونيه** () ***(1936م/6/26) ـ (1857م/2/8)***، فإنه يختلف عنه في المضمون، **فجولد زيهر** يقصد بهدا المفهوم الكشف عن العناصر الداخلية و الخارجية المؤثرة على الحركة الإسلامية، أما **سنوك هرجرونيه** يقصد بهدا المفهوم سلسلة الحوادث و الأفكار و التمثلات التي شملها التاريخ الإسلامي، و من هدا المفهوم يستطيع الباحث معرفة تراث القدماء و يستشف منه المستقبل الذي سيحدد حتما نتيجة هدا التطور.[4]

كما نلاحظ أنهما اختلفا في العلم حيث نجد أن **جولد زيهر** وقف حياته على الدراسات الإسلامية لأسباب علمية و دينية أما **سنوك** باعتباره عقلانيا فإن الأسباب التي دفعته إلى الدراسة تعتمد على المعرفة العلمية دون سواها، و التي تقود في النهاية إلى تحقيق أهداف أخلاقية.[5]

و حاول هدان المستشرقان من خلال هدا المنهج إلى معرفة التاريخ الإسلامي الحقيقي، إلا أن التوفيق لم يكن لهما حليفا لأن المنهج التاريخي لا يقود إلى الموضوعية العلمية عند تناوله للقضايا الإسلامية.[6]

كما أن نفوذ بصيرته و عمق وجدانه ميزه بأنه ينهج في أبحاثه منهجا استدلاليا لا استقرائيا، فكان يقبل على النصوص و في عقله جهاز من المقولات و الصور الإجمالية و يحاول تطبيقها على هده النصوص و التوفيق بينها و بين ما يوحي به ظاهر النص.كما أنه كان شديد الاحتياط في

---

[1] - المرجع السابق ، موسوعة المستشرقين ، ، ص . 211.
[2] - بوهان فوك ، تاريخ حركة الاستشراق ، ط2 ، دار المدار الإسلامي ، 2001 ، ص . 240.
[3] - المرجع السابق، ص . 240.
[4] - الحاج سالم ساسي ، نقد الخطاب الإستشراقي للظاهرة ، ج1 ، ط2 ، دار المدار الإسلامي ، ص . 184.
[5] - نفس المرجع ، ص . 183.
[6] - المرجع نفسه ، ص . 221.

استخدام هدا المنهج و هكذا كان منهج **جولد زيهر** منهجا وسطا استطاع به أن يتجنب خطرين: خطر الضيق و السطحية في المنهج العلمي بالمعنى الدقيق، و خطر الإفراط في السعة و التأويلات البعيدة الخيالية في المنهج الوجداني الاستدلالي.[1]

إلا أن **صبحي أبو شعيشع** يرى بأن معظم اليهود و على رأسهم **جولد زيهر** لم يلتزموا بالمنهج الاستدلالي في الدراسات الإسلامية حيث ضربوا بقواعده عرض الحائط و لم يعيروا الأسس التي قام بها فثاروا على أصول الدين و قواعده التي صارت لثباتها و رسخوها ثوابت و بديهيات لا يعوزها الدليل و لا يفتقر إلى برهان و ثاروا على التعريفات فحطموا قيودها و قيدوا مطلقها و استبدلوها بأمور أخرى و تجاهلوا الكثير من النتائج الكلية و الجزئية التي قررها المنهج الإسلامي و التزم بها العلماء المسلمين في البحث العلمي بل أنهم جعلوا هده النتائج فضلا عن خصائص الأدلة التي تتميز بالإلاهية و الربانية و كثيرا من القضايا العقدية و خاصة قضايا النبوة جعلوها خاضعة للتجريب كل دلك وفق بديهيات و تعريفات و نظريات في المنظور الإسلامي.[2]

و في هدا يختلف **جولد زيهر** مع **نلينو** ***(1938م ــ 1872م)*** فهما في منهجهما في البحث على طرفي نقيض، فإذا كان منهج **جولد زيهر** استدلالي يعتمد على البصيرة و الوجدان، فنرى أن منهج **نلينو** منهج استقرائي خالص، كل اعتماده على النصوص لا يكاد يخرج منها إلى النتائج الواسعة أو التيارات الروحية العامة، أي أن منهج **نلينو** هو المنهج العلمي بالمعنى الدقيق و سعته للاطلاع على مختلف المسائل الإسلامية و العربية كما أن **نلينو** يمتاز بمنهجه التحليلي الاستقرائي الذي يحول بينه و بين الالتجاء على افتراض الفروض الواسعة الجريئة و يمتاز ببحوثه التحليلية.[3]

كما نجد **جولد زيهر** في منهجيته يعتمد على منهج قانون المطابقة و المقابلة و هو يرى أن التقدم الذي أحرزته الدراسات الإسلامية في السنوات الأربعين الماضية لم يكن مقتصرا على اتساع و شمولية المعارف المكتسبة فقط و لكنه تعذر إلى المنهجية العلمية المطبقة عليها و يقول في هدا الصدد:" إننا قد تعرفنا على الإسلام بمنهجية تختلف عن تلك التي طبقها أسلافنا، و بعبارة أخرى فإننا ندرس بمنهجية أخرى"[4]

---

[1] ـ د/عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين ، ط3 ، لبنان ، دار العلم للملايين 1993 ، ص . 199.
[2] ـ د/ عبد المنعم أبو شعيشع أبودنيا ، الاستشراق اليهودي ، دط ، 2008 دار الجامهة الجديدة ، ص . 144.
[3] ـ عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص: 199 .
[4] ـ الحاج سالم ساسي ، نقد الخطاب الإستشراقي ، ص . 214.

و هده المنهجية تعتمد على منهج النقد التاريخي و على منهج آخر يعتمد على قواعد عامة أخلاقية نفسية تتعلق بنشأة و تطور الأفكار الدينية للإنسان و كان لهدين المنهجين نتائجهما في مجال الدراسات الإسلامية و هما اللذان أطلقا عليهما اسم منهج النقد التاريخي و منهج علم مقارنة الأديان، و في أثناء اعتماده على هدين المنهجين تناول نشأة الإسلام و أبان عن كيفية تطوره و تطرق إلى أحزابه و مذاهبه و أفكاره الروحية السائدة في فترات تاريخية مختلفة كان يتجه دوما إلى استخدام تاريخ الأدب دون أن يكون مؤرخا للآداب و كان نادرا ما ينزع إلى المشاهدة المباشرة، كان يغوص في الوثائق النصوص والتاريخية ويحاول من خلال دراستها استنباط الأحكام العامة على الديانة الإسلامية، و هدا ما أدى به إلى إهمال دراسة حاضر العالم الإسلامي من الناحية السياسية و الثقافية و الحضارية.[1]

و يرى **جولد زيهر** أن تطور الحياة الإسلامية جاء نتيجة تأثرها بالأفكار الخارجية و حاول في هدا المقام استخدام منهج الأثر و التأثر بكل ما يحمل من أخطاء اعتقادا منه أن الإسلام مر بمراحل تطور وتأثر بغيره من الأديان.[2]

و دهب **سنوك هرجرونيه** إلى نفس منهج **جولد زيهر** و الذي أطلق عليه مفهوم التمثل و الاستيعاب حيث غالى في تطبيق هدا المنهج غلوا كبيرا بالنسبة إلى الإسلام عندما اعتقد بان معظم العناصر الأساسية المكونة للديانة الإسلامية كانت عناصر خارجية، إلا أن الإسلام قد استوعبها و تمثلها وأصبحت جزءا من نظامه العام.[3]

أن الصورة الإسلامية لدى **جولد زيهر** بالرغم من خطإها منهجيا و عمليا فانه يراها صورة متحركة ومتفتحة على العالم الخارجي، و من هنا كان **جولد زيهر** يعتقد آن تاريخ الإسلام ماهو إلا عبارة عن دراسة تياراته الروحية المختلفة.[4]

و من خلال المناهج التي اعتمد عليها **جولد زيهر** نلاحظ شغفه بدراسة المصادر الأصلية و الأجنبية للدراسة الإسلامية و هو يرى انه لا يمكن فهم الروح الإسلامي الصحيح ما لم يدرس الباحث العلاقة بين تطوره و مصادره، و لا يمكن الوصول إلى هده المصادر إلا بدراسة التطور التاريخي لهده

---

[1] - المرجع السابق ، ص . 214.

[2] - محمد خليفة حسن أحمد ، آثار الفكر الإستشراقي في المجتمعات الإسلامية ، ط1 ، 1997 ، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الإجتماعية ، ص . 18.

[3] - المرجع السابق ، نقد الخطاب الإستشراقي ، ص . 184.

[4] - د/عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين ، ، ص . 119.

المصادر، و قد طبق هده المنهجية في كتبه الرئيسية مثل: الظاهرية، و دراسات محمدية و مناهج التفسير القرآني ثم أضاف إليها العناصر الخارجية عند تطبيقه لمنهج النقد التاريخي و منهج الأثر والتأثر.[1]

[1] - المرجع السابق ، نقد الخطاب الإستشراقي ، ص . 214.

المبحـــث الرابـــع:

موقف العلماء منـــه:

قام الإستشراق على أكتاف الرهبان و المبشرين ثم أتصل فيما بعد بالمستعمرين، و كان لعلماء العرب و الغرب مواقف مختلفة اتجاه هؤلاء المستشرقين و من بين المواقف التي كانت توجه إلى المستشرق جولد زيهر نجد: من بين العلماء العرب على سبيل المثال لا الحصر موقف **الإمام الغزالي** الذي يقول :" أن كل خطوة كان يخطوها لا تزيده إلا ضلالا عن القصد، و بعد عن الغاية و سواء تكامل في مسيرته أو نشط و سواء تأنق في مسيره أو تعثر فهو لم يحقق بهده الجهود المهدرة شيء و جولد زيهر مند أن شرع يخط السطور الأولى في كتابه العقيدة و الشريعة لم يكن يملك درة من العالم المنصف، كان يخطئ في النقل و الفهم و الحكم."[1]

و بأحسن وصف له و لأمثاله قول الأستاذ **أحمد فارس الشدياق:**" إن هؤلاء المستشرقين لم يأخذوا العلم عن شيوخه و إنما تطفلوا عليه تطفلا و توثبوا عليه توثبا."[2]

و نظرا لأن جولد زيهر من أخطر المستشرقين اليهود و من شر من حرفوا في الإسلام و تاريخهن و له عدة مؤلفات و مصنفات الناظر فيها يجد الشبهات و الأكاذيب و الافتراءات على الإسلام الحنيف و عن النبي ــ صلى الله عليه و سلم ــ و الشريعة الإسلامية، و قد لعب هدا المستشرق دور خطير في التشكيك و الطعن في أصول و قواعد الإسلام حيث قال الأستاذ **أنور الجندي** في كتابه " الإسلام في وجه التغريب" :" يعد جولد زيهرمن أكبر الناقمين على الإسلام و يعد كتابه العقيدة و الشريعة في الإسلام مثلا لهدا التشويه الذي حاول به تمزيق الحقائق الإسلامية و الذي يمثل تزويرا فادحا، و تحريفا خطيرا لسمعة الإسلام بأسلوب مخالف كل المخالفة للدقة في النقد و مناقض أشد المناقضة للتمحيص في الاستنباط العلمي."[3]

و يقول **الشيخ محمد زاهد الكوثري** و هو يتحدث عن كتابات المستشرقين ضد الإسلام:"...و من أخطر هدا الفريق المموه جولد تسيهر المجري الدم، اليهودي النحلة، العريف في عداء الإسلام، الماضي في هدا السبيل طول حياته، و هو من رجال أوائل القرن الميلادي الحاضر و له دراسات في القرآن و علومه و الحديث و علومه و الفقه و أصوله، و في الكلام و فرق المتكلمين إلا أنه

---

[1] ـ محمد الغزالي ، دفاع عن العقيدة و الشريعة ضد مطاعن المستشرقين ، ط5 ، دار إسلام للنشر و التوزيع ، ص . 11.

[2] ـ نفس المرجع ، ص . 12.

[3] ـ د/ عبد المنعم أبو شعيشع أبودنيا ، الاستشراق اليهودي ، دط ، 2008 دار الجامهة الجديدة ، ص . 47.

محتال ماهر في توليد ما يشاء من نصوص يتصيدها من مصادر تعجبه باعتبار غايته مغالطا في تحميلها ما لا تحتمله من المعاني عند أهل البصيرة و متجاهلا اختلاف منازل تلك المصادر في الثقة و التعويل."[1]

يقول كاتب مادة الحديث في دائرة المعارف الإسلامية:" إن العلم مدين دينا كبيرا لما كتبه جولد زيهر على مسار الدراسات الإسلامية الإستشراقية أعظم مما كان لأي من معاصريه من المستشرقين فقد حدد تحديدا حاسما اتجاه تطور البحث في هده الدراسات.[2]

و من بين آراء العلماء الغرب نجد **ريتشارد هورتمان** الذي يرى أن " جولد زيهر هو المؤسس الفعلي للدراسات الإسلامية الحديثة في أوروبا، و كان من ضمن العوامل التي ساعدت على نمو الإسلام انطلاقا من دراسة تاريخ الأديان، و هو الذي أعطى للدراسات الإسلامية خصائصها المميزة باعتبارها أحد الفروع العلمية المستقلة بذاتها و المختلطة بالمشاكل و المناهج الخاصة بها و من الصعوبة بإمكان فهم الدراسات الإسلامية و تطورها لولا مساهماته الفعالة في هدا الخصوص و تركيزه على تحليل الأفكار الإسلامية من خلال النصوص و الوثائق التي أخضعها للبحث و التحليل و أكبر خدمة قدمها في هدا الإطار دراسته العميقة بالمعرفة التاريخية للأحداث النبوية.[3]

و تحدث عنه أيضا المستشرق الهولندي **سنوك هرجرونيه** حديثا مشوبا بالذكريات الشخصية و الصداقة العميقة واصفا إياه بالعالم المتبحر في القضايا الإسلامية و بالخصال الإنسانية الحميدة التي يتمتع بها.[4]

و يلخص **بغانموللر** عمل **جولد تسيهر** في هدا المجال فيقول:" لقد كان جولد زيهر أعمق العارفين بعلم الحديث النبوي و قد تناول في القسم الثاني من كتابه "دراسات محمدية " موضوع تطور الحديث تناولا عميقا، و راح بماله في علم عميق و اطلاع يفوق كل وصلٍ ..... و قد قادته المعايشة العميقة لمادة الحديث الهائلة إلى الشك في الحديث، و لم يعد يثق فيه مثلما كان "دوزي" لا يزال يفعل دلك في كتابه "مقال تاريخ الإسلام".[5]

---

[1] - المرجع السابق ، (دفاع عن العقيدة و الشريعة) ، ص . 12

[2] - د/ محمود حمدي زقزوق ، الإستشراق و الخلفية الفكرية للصراع الحضاري ، ص . 106.

[3] - الحاج سالم ساسي ، نقد الخطاب الإستشراقي للظاهرة ، ج1 ، ط2 ، دار المدار الإسلامي ، ص . 209.

[4] - نفس المرجع ، ص . 210.

[5] - د/ سعد المرصفي ، المستشرقون و السنة ، ط1 ، مكتبة المنار الإسلامي ، ص . 5

و يراه المستشرق الألماني **هنريش بكر** بأنه " الأب الروحي لجيل المهتمين بالدراسات الإسلامية، فهو مبدع و منشئ علم الأسلومولوجيا بالتعاون مع زميله **سنوك** و دلك عندما حاولا فهم الإسلام من دراسة الإسلام ذاته و قد دافعا على هده الأصالة الإسلامية في مواجهة المناهج الفقهية اللغوية التي استخدمت لفهم الإسلام، فقد اهتم الاثنان بالنصوص الأدبية و دلك بوضعها في سياقها التاريخي و عالجا من خلال تلك النصوص تاريخ الأديان بصفة عامة و تاريخ الديانة الإسلامية بصفة خاصة و قد بحثا من خلال تلك النصوص و الدراسات المنظمة لها الأفكار الإسلامية مستخلصين منها الأصالة الإسلامية الحقة عاثرين في طياتها على منطق داخلي لها.[1]

[1] - الحاج سالم ساسي ، نقد الخطاب الإستشراقي للظاهرة ، ص . 210.